برامج تلفزيون الواقع والسابعة الاميركية

في بداية الامر، شكلت برامج تلفزيون الواقع صدمة للبعض، وارتفعت الاصوات تحذر من تأثيراتها السلبية على قيم المجتمع وتقاليده وتوجهات شبابه وسرعان ما خفت الصدمة وتأثيراتها بعد ما اتضح انها مجرد برامج منوعات عرفها العالم قبلنا بعشرات السنين وانها اخذت تحظى بمتابعة جماهيرية واسعة، حتى من قبل الذين صدموا في البداية.

تقوم فكرة تلفزيون الواقع على متابعة الكاميرا لنشاط مجموعة بشرية اجتمعت لهدف فني او اجتماعي محدد. شباب وشابات تلتقط الكاميرا مفردات حياتهم اليومية لتعرضها حية على الجمهور الذي يقرر مستوى اداء كل فرد من افراد المجموعة عن طريق التصويت. وفي نهاية البرنامج يختار الجمهور فائزة او فائزاً يتوج على رأس المجموعة بوصفه الافضل.

فيما يلي عرض سريع لأهم برامج تلفزيون الواقع

ستار اكاديمي/ LBC

هذا برنامج يضم مجموعة من الشباب والشابات يعيشون في مبنى مستقل ويتلقون اثناء فترة البرامج دروساً في الغناء والموسيقى واللياقة البدنية والرقص الاستعراضي والهدف بطبيعة الحال هو انتقاء الافضل ليكون نجم البرنامج في نهاية المطاف. ويقدم المشاركون في البرنامج افضل مالديهم في حفل اسبوعي ساهر يحضره جمهور غفير من المشاهدين ويتسم بالابهار والبذخ في الانفاق على الديكورات والانارة والصوت وغيرها من مستلزمات العمل الفني المسرحي. وتبدأ التصفيات طبقاً لتصويت الجمهور ليغادر كل اسبوع عدد من المتنافسين حتى استقر المطاف بثلاثة فقط تنافسوا على المركز الاول الذي فاز به المصري محمد عطية. واصبح هذا الفائز نجماً ساطعاً استقبل في بلاده بمظاهرات شبابية حاشدة وانهالت عليه العروض من شركات الانتاج الغنائي والسينمائي. ويعكس اختيار محمد عطية هدف البرنامج الذي لا يركز على خامة الصوت لإستكشاف اصوات غنائية جديدة، بل يسعى الى اكتشاف مواهب استعراضية تعتمد على الصوت والحركة والرقص والحضور على المسرح وخفة الدم، وكان محمد عطية يمتلكها جميعاً. وها ان نواة فرقة استعراضية قد تشكلت من ابرز المشاركين في البرنامج الذين وصلوا مرحلة التصفيات النهائية وبدأت جولة في عدد من البلدان العربية لتقديم عروضها الاستعراضية.

تميزت مفردات الحياة اليومية التي رصدتها الكاميرا طوال فترة عرض البرنامج بالحيوية الفائضة لمجموعة الشباب والشابات وتلقائية التعامل فيما بينهم، والتي فسرها بعض معارضي البرنامج بأنها خرق للتقاليد والقيم. وسواء اكان ذلك صحيحاً ام لا فإن البرنامج حقق هدفه المنشود وحظي بجماهيرية واسعة حتى ان قناة LBC اعلنت قبل ايام ان عدد المشاركين في التصويت لبرنامج ستار اكاديمي قد بلغ ٨٠ مليونا !!

سوبر ستار/ قناة المستقبل

على خلاف برنامج ستار اكاديمي، فإن كاميرا سوبر ستار لاتلاحق المشاركين ليل نهار، انما تعرض لقطات يومية لفترة استعدادهم للمنافسة، وهي فترة تتسم بالتركيز على التدريبات الموسيقية والغنائية، والفحوصات الطبية للحنجرة والحبال الصوتية، وتدريبات على اللياقة البدنية ولقطات لتجمعاتهم المرحة ولقاءات بخبراء التجميل والملابس وغيرها. يمر المشاركون على لجنة فنية ثلاثية برئاسة الفنان الياس الرحباني لتستمع الى كل منهم لإختيار من يصلح لدخول المنافسة، بعد ذلك تبدأ مرحلة التصفيات التي تعتمد على تصويت الجمهور في اختيار الفائز او الفائزة.

حققت الدورة الاولى من سوبر ستار نجاحاً لم يكن متوقعاً، اذ خرج من هذه الدورة اربعة احترفوا الغناء واصدروا البوماتهم الغنائية الاولى وهم كل من ديانا كرزون وملحم زين ورويدا عطية وسعود السلطان. قبل بضعة اسابيع، بدأت الدورة الثانية لهذا البرنامج التي تشهد تنافساً اكثر حدة بين الاصوات من مختلف البلدان العربية، حتى ان لجنة التحكيم كانت تجد صعوبة في انتقاء عدد محدود من المتقدمين ليصعدوا الى مرحلة التنافس وتقدم للمشاركة اكثر من ثماني آلاف صوت تم اختيار ثماني منهم للمنافسة على اصوات الجمهور. وبدأت مرحلة التصفيات الاولى والثانية صعوداً الى المرحلة النهائية. كانت هناك خامات صوتية واعدة خذلها تصويت الجمهور واخرى واعدة ايضاً انتقلت الى مرحلة التنافس التالية، وما زالت المنافسة مستمرة لإختيار سوبر ستار الدورة الثانية.

عالهوا سوا/ الاوائل

خصصت شبكة الاوائل، وهي جزء من ART، قناة خاصة لهذا البرنامج تحمل اسم (عالهوا سوا) . برغم ان هذا البرنامج حظي هوالآخر بمتابعة جماهيرية واسعة، الا انه من حيث النتائج كان الاضعف بين برامج تلفزيون الواقع.

تقوم فكرة البرنامج على انتقاء ثماني فتيات يعشن معاً لمدة ثلاثة شهور تحت عين الكاميرا لا يسمح لهن في اثنائها بالمغادرة او الالتقاء بأحد عدا ضيوف البرنامج الذين اختارتهم ادارة القناة التلفزيونية. والهدف من المشاركة هو انتقاء عريس من بين من يتقدم لخطبة كل منهن. وكما في بقية برامج تلفزيون الواقع، يكون تصويت الجمهور هو الحكم الذي يختار (عروس الهوا سوا) والجائزة مغرية للعروسين، سكن مؤقت وشهر عسل ومبلغ من المال في البنك ليبدآ حياتهما معاً اضافة الى حفل الزفاف الذي ينقل على الهواء مباشرة ويتكفل البرنامج بنفقاته.

شاركت في البرنامج فتيات من لبنان والمغرب وتونس والجزائر ومصر وسوريا. اكتسب البرنامج شعبيته من طرافة المواقف التي نشأت بين الفتيات ومعاركهن اليومية الصغيرة والخلافات ونوبات البكاء والمصالحة على مدار الساعة. ودارت منافسة طريفة بين جمهور المصوتين وتشكلت عبر الانترنيت مجموعات مساندة لكل فتاة تتحاور فيما بينها وتحث بعضها البعض على تكثيف التصويت.

بدأ البرنامج بالتراجع مع انسحاب فتاتين منه بعد اقل من شهر على الشروع به. ومع تصاعد عملية التصويت، يبدأ العد التنازلي فتغادر كل اسبوع الفتاة التي كانت اقلهن حظوة لدى المشاهدين، ولم تبق سوى ثلاث فتيات للتنافس على اللقب. وبدأت عملية اختيار العرسان عن طريق عرض اشرطة فيديو للمتقدمين للزواج كي تنتقي الفتاة احدهم ليكون زوج المستقبل. وارتبك البرنامج ثانية حين اعلنت احداهن انسحابها لأنها لم تقتنع بأي من المتقدمين لزواجها. بقيت فتاتان اختارت كل منهما عريساً لها، وظل التصويت مستمراً حتى الليلة الاخيرة التي يفترض ان تعلن فيها الخطوبة الرسمية بحضور الاهل وينتهي البرنامج بإعلان اسم الفائزة. وقبل الاعلان عنها في خمس دقائق فجرت احدى الفتاتين مفاجأتها للجمهور ولادارة البرنامج معاً برفضها الزواج من الشاب الذي اختارته والذي كان حاضراً ينظر بذهول الى ما يحدث.

وتم اختتام البرنامج بسرعة خاطفة بإعلان المتبارية الوحيدة المتبقية بوصفها الفائزة، وهذه بطبيعة الحال نتيجة ضعيفة لبرنامج استمر ثلاثةاشهر على مدى الساعة وصرفت عليه الملايين وحظي بمتابعة جماهيرية كبيرة.

اخذ البعض على هذا البرنامج انه حول المرأة الى سلعة تعرض ليأتي الخاطبون للزواج منها فيما رأى آخرون انها استنساخ معاصر لطريقة الزواج التقليدية وهي شبيهة بفكرة الخاطبة التي تدور على العوائل تعرض صور الفتيات الراغبات بالزواج وتعدد مزاياهن، والبرنامج لم يفعل اكثر من ذلك، اذ عرض بالصورة والصوت مجموعة من الفتيات في انتظار من يتقدم لخطبتهن.

تجري حالياً الاستعدادات لإطلاق الدورة الثانية من هذا البرنامج، ولا شك في ان القائمين عليه سيدرسون نقاط الضعف التي اربكت البرنامج ويسعون الى تلافيها وفي مقدمتها وضع ضوابط تمنع انسحاب الفتيات من البرنامج بعد الموافقة على المشاركة فيه.

ملكة جمال لبنان/ LBC

آخر انماط تلفزيون الواقع هو برنامج انتخاب ملكة جمال لبنان ٢٠٠٤، حيث دخلت قبل بضعة اسابيع المرشحات لنيل اللقب حلبة المنافسة داخل نفس المبنى الذي ضم (ستار اكاديمي) بعد تغيير ديكوره بالكامل. وكما هي العادة، ترافق كاميرا التلفزيون حياة المتباريات وتنقل لقطات من الدروس المقدمة في الحركة والاستعراض على المسرح ولباقة الحديث وحسن اختيار الالفاظ. تشارك في المسابقة ١٦ فتاة تتراوح اعمارهن بين ١٩و ٢٥ سنة وجميعهن طالبات جامعيات، ويستمر البرنامج فترة ستة اسابيع وفي كل اسبوع هناك حفل جماهيري يجري فيه استعراض الفتيات من قبل لجنة التحكيم، وتتم التصفية بناء على تصويت الجمهور وصولاً الى الفائزة باللقب. وما زالت الطريق الى العرش في بدايتها.

تارة الرقيق البيض

حياة الليل في المدن الكبرى تمتلئ بالاضواء والصخب والموسيقى، وتفتح اماكن اللهو ابوابها للزبائن- ومعظمهم من السياح- الذين قدموا بحثاً عن المتعة والتسلية. وفتيات الشوارع هن جزء لا يتجزأ من اية مدينة تعج بالسياح، تجدهن يقفن جماعات او فرادى في الشوارع الرئيسة اوالخلفية، تدل عليهن ملابسهن والشعر المصبوغ والوجوه المدهونة بالالوان الفاقعة .. وهذا تحقيق تلفزيوني يحاول تتبع جذور المشكلة والطريق الوعرة التي تسلكها الفتاة حتى تصل الى الشارع، ومعظمهن يبدأن الطريق وهن في سن المراهقة.

تبدأ الكاميرا من مدينة نابولي التي يصفها المعلق بأنها من اكثر المدن الايطالية غنى واشدها فقراً. اذ يعيش في المدينة اقطاب الصناعة والمال والتجارة، وهي مركز سياحي يستقبل سنوياً ملايين الغرباء. وعلى اطراف هذه المدينة الجميلة تتكدس اعداد هائلة من البشر في بيوت متداعية او مخيمات بائسة. وكثير من سكنة هذه الاحياء هم مهاجرون من دول اخرى –شرعيون وغير شرعيين –هربوا من البؤس والفقر في بلادهم وجاءوا يحملون احلامهم ببدء حياة مرفهة ومستقرة فانتهوا الى العيش على هامش المدن الكبرى الصاخبة، يقدمون لها خدماتهم ويحترف الكثير من صغارهم السرقة والنشل والنصب على السياح .. والدعارة ايضاً.

هنا منبع خصب لإصطياد المراهقات او اغواء اسرهن الجائعة بالمال للاتجار بهن في نابولي نفسها او (تصدير) اخريات الى المدن الايطالية الاخرى او الى بلدان اخرى.

تتجول الكاميرا ليلاً في شوارع نابولي المزدانة بالاضواء. تستعرض فتيات الشوارع وهن في انتظار السيارات التي تلتقطهن بعد محادثة سريعة تنتهي بالاتفاق على السعر. ينتحل الصحفي المرافق للكاميرا صفة الزبون ليلتقط فتاة كانت تقف وحيدة تحت عمود النور. يكتشف من حواره السريع معها ان عمرها ستة عشر عاماً وانها بدأت (العمل) منذ سنتين. هي اصلاً من رومانيا، جاءت الى ايطاليا بعد ان عرض عليها شخص ما عقد عمل في احد المطاعم، وكانت معها مجموعة من الفتيات بعقود عمل مختلفة. دفع الرجل مبلغاً من المال الى اهلها واخذها الى نابولي حيث امن لها سكناً مشتركاً مع مجموعة اخرى من الفتيات من بلدان مختلفة وخاصة من اوربا الشرقية وجنوب شرق آسيا. بعد بضعة اسابيع قيل لها ان المطعم على وشك الافلاس، ونقلوها للعمل نادلة في احد البارات. ولم تكتشف انها قد وقعت في يد عصابة تتجر بالرقيق الابيض الا عندما باعوها لأحد السماسرة ووجدت نفسها عضواً في شبكة واسعة للدعارة. سألها الصحفي لماذا لا تترك هذه المهنة وتعود الى بلدها وهي لا تزال في مطلع حياتها اجابته بشيء من الاستخفاف هل تستطيع انت ان تعيدني الى بلدي؟ هذه شبكة متنفذة ومتشعبة حتى انني استطيع باشارة مني ان اعيدك الى بلدك . ومن ثنايا الحديث المطول مع الفتاة، والسيارة تدور في شوارع نابولي، يلتقط الصحفي خيطاً رفيعاً يوصله الى سوق النخاسة حيث تباع الفتيات الصغيرات لسماسرة الدعارة.

تأخذنا الكاميرا الى قاعة صغيرة تخلو من الاثاث تماماً. لا تبدو الوجوه هنا واضحة بسبب ضعف الانارة، ربما لأن الكاميرا التي اخفيت بطريقة ما عن عيون السماسرة، لم تحصل على الانارة الكافية، لكن مجريات عملية البيع كانت واضحة تماماً. يدخلون الفتاة ويبدأ السمسار بتعداد مواصفاتها وجنسيتها وعمرها (تتراوح الاعمار بين ١٢ و ١٦ سنة). وتبدأ عملية الشراء حيث يتقدم (المشتري) لإجراء عملية فحص بشعة لكل جزء من اجزاء جسد الفتاة التي تقف جامدة دون ان تبدي رد فعل تجاه عملية الفحص، ربما بسبب الرعب من رجال العصابات التي تتاجر بالرقيق الابيض وتستعمل اساليب اجرامية مع الفتاة قبل ان تصل الى سوق النخاسة مستسلمة طائعة. تباع الفتاة الاولى بثلاثمائة دولار والثانية بمائتين وخمسين والثالثة.. وتغادر الكاميرا المكان فالمشهد متكرر وعملية البيع تكرر نفسها.

تطير الكاميرا الى بانكوك في تايلاند وهي مركز عالمي آخر للاتجار بالرقيق الابيض حيث تجلب الفتيات القاصرات من مختلف بلدان جنوب شرق آسيا وبحجج مختلفة ليقعن في حبائل شبكات الدعارة. يلتقط الصحفي من افواه فتيات الشوارع قصصاً متنوعة عن الطريق الذي اوصلهن الى الشارع. رغم ان الاساليب الشيطانية تختلف في استدراج الفتاة، الا ان السبب يكاد ان يكون واحداً في كل حالة وهو الفقر المدقع الذي يدفع ببعض الاسرالى بيع بناتها مباشرة الى السمسار او اغماض العين عن الخدعة التي جاء بها، وغالباً ما تكون عقد عمل في المدينة او السذاجة التامة لهؤلاء البسطاء التي تدفعهم الى تصديق كل ما يقال لهم.

يلتقط الصحفي فتاة تقف وحيدة تؤشر للسيارات العابرة لتحكي له قصتها. جاء رجل الى القرية كان يبدو محترماً ومهماً، ثم تداركت بعد توقف قصير بعد ان خبرت الدنيا لم اعد احكم على الناس طبقاً لما يرتدونه من ملابس انيقة ولطريقة كلامهم.

اخذ من القرية اربع فتيات للعمل في صالون حلاقة في بانكوك واعطى لكل اسرة وصلا بالاستلام ومبلغاً من المال. وتتكرر القصة ذاتها لتجد نفسها تعمل في الشارع لحساب شبكة للدعارة وكانت في الرابعة عشرة. لم تحاول منذ ذلك التاريخ رؤية اهلها برغم انها تتمنى ان ترى الصغار (اما الكبار فلا اريد رؤيتهم باعوني بمبلغ تافه من المال احصل عليه اليوم في اسبوع واحد. اخذ العنوان وراح يبحث عن الاسرة التي باعت ابنتها.

في منطقة ريفية شديدة البؤس، لم يجد صعوبة في العثور على اهل الفتاة، فالناس هنا يعرف بعضهم بعضاً. البيت الذي دخله عبارة عن غرفة متهدمة بنيت من بقايا الحجارة وقطع الصفيح وبعض الطين والخشب. ارضية الغرفة من التراب يتكدس فوقها كم هائل من البشر تحلقوا حول الصحفي والكل يشكو من شحة الرزق وانعدام الفرص. سألهم ان كانوا يعرفون شيئاً عن ابنتهم التي غابت منذ اكثر من ثلاث سنوات، ردت الام بشيء من اللامبالاة لا نعرف عنها شيئاً ولم تحاول الاتصال بنا. لكن بعض الناس قالوا لنا انها (تعمل) في الشارع في بانكوك. لا نعرف ما الذي جرى، فلقد ذهبت مع رجل محترم وما زلت احتفظ بالوصل الذي اعطانا اياه لم تكن لدى هذه الاسرة اية فكرة ان الرجل انما كان سمساراً لشبكة دعارة.

تقوم الكاميرا بجولة اخيرة في شوارع بانكوك التي اغرقها مطر آسيوي كثيف لتستعرض في لقطات خاطفة فتيات الشوارع وهن يحتمين من المطر تحت الاشجار في انتظار المجهول.